المُسْلِمون والنُهوض الحضاريّ

قواعد النهضةِ الإسلاميّةِ المُعاصِرة

التعليم والتربية

تقديم: عبد المحمود أبّو إبراهيم

الأمين العام لهيئة شؤون الأنصار

الســـــودان

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

توطئة:

أمّة الإسلام خُصّت بالخيريّة والشهادة على الناس، وكُرِّمَت بالرسالة الخاتمة، ولكل خصيصة من هذه الخصائص شروط وعناصر مطلوب توافرها في المنتمين لهذه الأمّة، أو على الأقل في مَن يتولون أمرها في المجالات المختلفة . وقد حَقّق سلفنا الصالح شروط الشهود الحضاريّ في عصرهم فأحدثوا تحولاً على **الأصعدةِ كافة**، ونقلوا البشريّة من حياة الجاهليّة بظلامها إلى حياة العِلْمِ والعدل والرحمة، فضلاً عن الإيمان، وربطوا حركة الإنسان بالمنهج الإسلاميّ الذي يجعل للحياة معنىً وللمسيرةِ غايةً، قال تعالى: (أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لاَ تُرْجَعُونَ)[المؤمنون:115] وواصلت الأمّة التميز في العطاء طيلة عصر الرسالة والقرون الخيّرة التي تلتها، ونقلوا للإنسانيّة في أرجاءِ المعمورة الأربعة ما أنتجته العقول المسلمة من علوم ومعارف، وما أنجزته الإدارة الراشدة من عدلٍ ورخاء، وما نقّحهُ العلماء من معارفَ ونظريات الحضارات السابقة، فشهد العالم نمطاً جديداً من التعامل قوامه الإيمان والعِلْم والعدل والتسامح.

ثم طرأت على المسلمين ظروف صنعتها عوامل الابتعاد عن أصول المنهج، والصراعات الداخليّة، والاختلاف المذموم، والغزو الخارجي؛ فضعفت الأمّة وخار عزمها وتراجعت عن وظيفة الشهود الحضاريّ.

وفي القرون المتأخِرة بدأتِ الأُمّةُ في محاولاتِ استرجاعِ دورها الرياديّ؛ تمثلت تلك المحاولات في نشاط المجتهدين والإصلاحيين والمجاهدين، ولا زالت المساعي حثيثة لبلوغ الغاية المنشودة، وهذا المؤتمر واحد من المحاولات الجادّة لبلورة رؤية عِلْميّة عَمَليّة تساهم في نهضةِ الأمّة، وإنّني أشاركُ بهذه الورقة في المحور الرابع "قواعد النهضة الإسلاميّة المعاصِرة" في مجال التعليم والتربية؛ الذي يُعدُّ من أصعب المجالات وأخطرها، فالتعليم يهتمُ بضروبِ المعرفةِ المُختلِفة التي تُحقِّقُ النهضة، والتربية تتمثّلُ في السلوك العمليّ الذي يحوّل المخزون المعرفيّ إلى واقع، وإنّني أستعينُ بالله وأقدمُ هذا البحث عبر المحاور الآتية:

المحور الأوّل: التعليم والتربية: الدلالة والمفهوم

1) مفهوم التعليم:

(أ) لغةً: يُقالُ "عَلّمَهُ الشيءَ تعليماً فتعلّم، وليس التشديد هنا للتكثير بل للتعدية، ويقال أيضاً تعلم بمعنى أعلم"[1].

(ب) اصطلاحاً: يكتسي مفهوم التعليم في التعريف الاصطلاحيّ دلالات متعدِّدة وتعريفات كبيرة تبعاً لتعدّد المدارس التي تناولته بالدراسة، وهي وإن اختلفت في اللفظ متفقة في المعنى، وهو تلك العمليّة التي يقوم بها الراشد ليجعل المتعلّم يكتسب المعارف والمهارات؛ أي: الكيفيّة التي يبيّن بواسطتها للفرد أنماط السلوك والتفكير والشعور، وهنا تنحصر مساهمة الذات الملقّنة والمساعدة التي هي المُعلِّم في التبيين. والتعليم هنا يختلف عن مفهوم التربية، وإن كان يتقاطع معها في مجالاتٍ متعدِّدة، فالتعليمُ يتخذُ بعداً كونياً يشمل مختلف مجالات الحياة؛ أي: أنه نشاط إنسانيّ يتم وفق مجموعة من النُظم والمبادئ والأدوات والأهداف؛ من أجل إحداث النمو في مختلف قوى الأفراد وميادين الحياة المختلفة، وهذا ما يتطابق مع تعريف اليونسكو UNESCO بكونه نشاطاً منظماً ومتصلاً، يصمم

[1] مختار الصحاح، عبد القادر الرازي، ص (390) دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة – القاهرة ط الأولى 1428هـ 2007 م

بهدف توصيل مزيج من المعارف والمهارات والمفاهيم ذات القيمة على جميع أنشطة الحياة؛ مما يدل على أن التعليم عمليّة واسعة النطاق لا يشرف على تصميمها وإدارتها طرف واحد بل المجتمع البشريّ برمّته[2].

ويذهب الدكتور صبري محمد خليل في بحثه بعنوان "فلسفة التعليم العالي" إلى أن مفهوم العِلْم له دلالة خاصّة ودلالة عامّة، أمّا الدلالة الخاصّة فهي نمط معين من أنماط المعرفة، يهدف إلى معرفة القوانين الموضوعيّة (أو السنن الإلهيّة بتعبير القرآن الكريم) التي تضبط حركة تحوّل الطبيعة، وتطور الإنسان التي لابد أن تأتي حلول المشاكل على مقتضاها لكي تكون صحيحة. أمّا الدلالة العامّة لمفهوم العِلْم فهي المعرفة بكل أنواعها[3] فالتعليم بِبُعديهِ الفردي والجماعي يتمثّل في معرفة القوانين والسنن المتنوعة والمودعة في مظاهر الكون ، وكيفيّة استعمالها لمصلحة الحياة بعلاقاتها المتشابكة.

(2) مفهوم التربية:

لغةً: ربى: نشأ وترعرع، وربا زاد ونما، وربب الشيء أي أصلحه، وللتربية تعريفات عديدة تختلف باختلاف التيارات الفكرية التي يصدر التعريف عنها، فمنذ قرون تتوالد التعريفات للتربية لتواكب الأعمال الجارية، وقد أدى ذلك إلى تراكم التصورات القائمة للتعريف. ومن هنا فإن للتربية تعريف منهجي يقوم على أسس موضوعيّة هي:

- الفلسفة التربوية التي تهيمن على مرحلةٍ تاريخيّةٍ معيّنة.
- الاتجاهات السياسيّة الموجودة في السُلطة.
- التطورات العِلْميّة المتتابعة التي تعدل في طبيعة النظرة إلى التربية.
- البعد الذاتي للمفكرين والمنظِّرين، أي: إسقاطات وِجهات النظر الخاصّة بكل مفكر على المنهج.
- البُعد الأيدلوجي الذي يمثّل عاملاً مهماً في الإسقاطات العقائديّة.

وكل مجموعة من هذه العوامل، تشكل معادلة مختلفة، تفرض نفسها في مجال التعريف الذي يعطى للتربية[4].

أما التربية في الإسلام فهي: منهج يستهدف صياغة كيان الإنسان في كُليّته، عقلاً وروحاً، جسداً ونفساً، والإنسان ليس جديراً بهذه التسمية إلا بالتربية. وليست التربية في الإسلام إلا اتباع الأصول التي جاء بها الأنبياء والمرسلون من الأحكام والحِكم والتعاليم، وهي المبادئ الحقيقيّة التي تأخذ بيدِ الإنسان إلى أعلى مراتب القيم الحميدة وحسن الأخلاق.

يقول رفاعة رافع الطهطاوي: إنّ التربية هي أن تبني خلق الطفل على ما يليق بالمجتمع الفاضل، وأن تُنمّي فيهِ جميع الفضائل التي تصونهُ من الرذائل وتُمكّنه من محاورة ذاتهِ للتعاون مع أقرانهِ على فِعل الخير[5].

التربية هي عمليّة رعاية وتنمية ومتابعة لتكوين ونمو الشخصيّة بكل مكوناتها الفسيولوجيّة والعقليّة والاجتماعيّة، حتى اكتمال الهيكل الأساسي لبناء شخصيّة الإنسان. فالتربية تتضمن عمليّة اكتساب مجموعة الضوابط الذاتيّة، أي: الداخلة في تكوين الشخصيّة ذاتها، التي تحدد لكل فرد ما ينبغي أن يكون عليه موقفه وسلوكه واتجاهه في مواجهة الغير، والتي مصدرها المجتمع (الأسرة: الأم أولاً ثم الأب ثم الإخوة، الأقارب، المدرسة، الرفاق...)[6] ويعرّفها زيد أبو زيد بأنها: مجموعة العمليات التي بها يستطيع المجتمع أن ينقل معارفه وأهدافه المكتسبة ليحافظ على بقائه، وتعني في الوقت نفسه

---

[2] عبد الإله الرفاعي، تعليم وتعلم المعجم والدلالة، بحث منشور في موقع الحوار المتمدن: m. ahewar.org

[3] د صبري محمد خليل، فلسفة التعليم العالي، بحث منشور في صحيفة سودان نايل الالكترونية: sudanile.com

[4] زيد أبزيد، مفهوم التربية وتطورها عبر التاريخ الإنساني

[5] زيد أبو زيد، مفهوم التربية وتطورها عبر التاريخ، بحث منشور في الانترنت: startimes.com

[6] المرجع السابق

التجدد المستمر لهذا التراث وأيضاً للأفراد الذين يحملونه. فهي عمليّة نُمو وليست لها غاية إلا المزيد من النُمو، إنها الحياة نفسها بنُموِّها وتجدّدها[7].

والثقافة التربوية تتضمن مجموعة المعلومات والخبرات التي نحتاج إليها في تكوين البيئة التربوية، وفي طرق تهذيب الأبناء وتنشئتهم النشأة الصالحة، وفي التعامل مع مشكلاتهم وأخطائهم، وتعني كذلك فهم جوهر التربية وأنها قائمة على التفاعل وبناء الروح الجماعيّة، وما يتطلبه ذلك من مبادئ وقيم وتضحيات وأفكار ومفاهيم، وهذه المكونات لن تكتمل أبداً حيث سنظل نشعر بأننا نواجه مواقف تربوية، لا نعرف كيف نتصرّف فيها على النحو المناسب، وما ذلك إلا لأنّ التربية عمليّة معقّدة جداً وتتطلب قدراً جيداً من المعرفة والحِكمة، وقدراً جيداً من الاتزان الانفعالي لدى المربي، إلى جانب قدر من الخبرة والممارسة العملية، وإن كل ذلك لا يعني كثيراً إذا لم يصحبه شيء من توفيق الله تعالى وهدايته وتسديده[8].

بناءاً على ما سبق يتضح أن مفهوم التربية مفهوم شامل؛ تتسع مجالاته كُلما تطوّر المجتمع وتعددت خياراته، وتعقدت علاقاته، وكثرت وتنوّعت مطالبُ أفرادهِ، والتربية الناجحة تهتمّ بثلاثة مجالات هي:

- عِلْمُ التربية: مضمون البحث في الظواهر الجزئيّة العينيّة المرتبطة بنُموِّ الشخصيّة بكل مكوناتها حتى اكتمال نُموِّها والمتضمِّنة لعمليّة اكتساب مجموعة الضوابط الذاتيّة، والقوانين الموضوعيّة التي تضبط حركتها.
- فلسفةُ التربية: هي الأفكار أو المفاهيم الكُليّة المجرَّدة السابقة على البحث في الظواهر الجُزئيّة العينيّة.
- فنُ التربية: الأساليب أو الأنماط المستخدمة في عمليّة نُموّ الشخصيّة بكل مكوناتها واكتسابها الضوابط الذاتيّة[9].

إنّ عالم اليوم تتشابك علاقاته وقرّبت وسائل المواصلات بين كل أجزائه، ووسائل الاتصالات جعلته كالقرية الواحدة، وهو مزدحم بالأفكار والنظريات فما عادت التربية وقفاً على الأسرة وحدها ولا حتى على مؤسسات التعليم التقليدية، فهنالك عوالم أخرى تتسرب مفاهيمها وأفكارها وقيمها داخل غرف نومنا، فمناهج التعليم ووسائل التربية الناجحة هي التي تستوعب هذه التغيرات وتتعامل معها بمستحقاتها.

إنّ الدين هو روح حركة الحياة في الإسلام، وروح العلوم والمعارف كلها، وروح المجتمع. فالتربية في الإسلام نظريّاً وعمليّاً لا تجدُ مرجعيّتها إلا في الدين، ومفهوم العُلوم ليس مقصوراً على علوم الدين، بل يشمل كل المعارف التي كشف الله عنها للبشر. وسريان روح الدين في كل شعاب الحياة والمعارف من المنظور الإسلاميّ، هو المفهوم الصحيح للتربية، كما فَهِمَهُ الأقدمون من علماء الأمّة قبل نشأة بدعة تفريق العُلوم إلى ديني ودُنيوي. فممّا قيل في هذا الصدد أن أبا الحسن الأنباري كان يشتغل بالعلوم الهندسيّة، ولمّا مرّ عليهِ بعضُ المشتغلين بالفقهِ وسألوهُ بشيءٍ من التهكُم، بم تشتغل؟ أجاب: إنّي أشتغلُ في تفسير قوله تعالى: (أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ)[ق: 6] فأنا في علومي أبيّن كيفيّة بناء هذه السماء[10] والحقيقة أن المعرفة كلها من الله سبحانه وتعالى الذي خلق هذا الكون واستخلف فيه الإنسان، وعلّم آدم الأسماء كُلّها التي تُمَكّنهُ مِنْ تحقيق وظيفة الاستخلاف.

المحور الثاني: الواقع الإسلاميّ:

---

[7] زيد أبو زيد، مفهوم التربية وتطورها عبر التاريخ، مرجع سابق

[8] أ. د. عبد الكريم بكار، التربية الرشيدة (2) القواعد العشر "أهم القواعد في تربية الأبناء ص (8) الطبعة الأولى 1430هـ، مؤسسة الإسلام اليوم للإنتاج والنشر – الرياض

[9] د. صبري محمد خليل، مرجع سابق

[10] زيد أبو زيد، مرجع سابق

المسلمون يشكلون خُمس سُكّان العالم تقريباً، ويتوزّعون في كل القارات، والعالم الإسلاميّ جغرافيّاً يوجد في قلب المعمورة وله صلات جغرافيّة بمعظم قارات الدنيا، بل يسيطر على أهمّ الطُرق والممرّات الدوليّة، ويُسيطِرُ على مُعْظمِ الطاقة البترولية في العالم، فأمّة الإسلام من حيث العدد والموارد والموقع الاستراتيجي والرباط الروحي أمّة فريدة لا تضاهيها أمّة أخرى؛ ولكن مع هذه الميزات البارزة فإنّها تُعاني من الآتي:

- **أولاً: التقسيم القُطري:** فمنذُ سُقوط الخِلافة العُثمانيّة في تُركيا عام 1924م فقدتِ الأمّة الرباط السياسيّ وتقسّمت إلى دويلاتٍ قُطْريّةٍ صغيرةٍ مُنغلِقَة على نَفْسِها، وحلّتِ المواطنة محلّ الرباط الديني، وفي مُعظم الأحيان توجد مشاكل بين الدولة وجاراتها من الدول التي تنتمي إلى نفس الدين، بل دخلت في حروبٍ استعانت فيها بالأجنبي على ابن العم فاتسعت شقة الخِلاف وصار الغريبُ أقربُ من الجار الشقيق الذي تجمعهُ مع جاره ديانة واحدة وثقافة واحدة وتاريخ مشترك؛ وبالتالي فإنّ كل دولةٍ صمّمت مناهج تعليميّة وبرامج تربويّة خاصّة بها، تؤدي في نتائجها النهائيّة إلى الانكفاء على الذات، والاقتصار على المصالح القُطْريّة.
- **ثانياً: التفاوت الاقتصادي:** بعض الدول الإسلاميّة تُصنّف مِن الدول الغنيّة وبعضها متوسطة الحال وأخرى تعيشُ تحت خط الفقر، فالفوارق الاقتصاديّة أفرزت فوارقاً اجتماعيّةً ونفسيّةً قتلت الشعور بالوحدة عند كثيرٍ من المسلمين، مع أن الدعوة الإسلاميّة في الأصل جاءت لتصحيحَ العقيدة وللتقسيم العادل للثروة، وشنّت حملة كبيرة على المحتكرين والمرابين وأصحاب الكنوز والمانعين الماعون والممتنعين من الحض على طعام المسكين. هذا التفاوت لم يقتصر على الدول بل انسحب حتى على المواطنين في الدولة الواحدة فبعضهم يموتون من التُخمة وآخرون يموتون من الجوع؛ هذا الوضع أضعف التكافل، وجعل المال دُولَةً بين الأغنياء، فتحقق معنى الآية الكريمة (... وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ)[الحج:45].
- **ثالثاً: الصراع السياسيّ:** لا تكاد دَولة إسلاميّة تخلو من صِراعٍ على السُلطة، والصراع والتدافع جِبِلّةٌ بشريّة، ولكن طبيعة الصِراع السياسيّ في البلدان الإسلاميّة صِراع خشن إلا مَنْ رحم الله، فالدول الغربيّة مثلاً حَلّتْ هذا الإشكال واهتدت إلى التداول السلمي للسلطة فوفّرت كثيراً من الطاقات والإمكانات والأرواح المُهدرة في الصراع من أجل السُلطة، ولكن عالمنا الإسلاميّ في الغالب يخلو من الحاكم السابق الحُر الطليق فهو إمّا في السِجْن، وإمّا في المنفى، وإمّا في القبر، وطبيعة الصِراع السياسيّ عندنا تخلو من التسامح، فالحكومة لا ترى في المعارضة إلا متآمرة وخائنة ومخربة والمعارضة لا ترى في الحكومة إلا الوجه القبيح المتمثّل في البطش والتنكيل والفساد..الخ وصدق الله العظيم القائل: (..وَلاَ تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ..)[الأنفال: 46].
- **رابعاً: الخلاف:** أصبح الخلاف سِمةً غالبة فهنالك خلاف طائفي وهناك خلاف سياسي وهناك خلاف فكري وهنالك خلافات مذهبيّة، والخلاف سُنّة إلهيّة وضرورة اجتماعيّة وواقع كوني، ولكن طبيعة الخلاف هي التي تُفرّق بين الخلاف المذموم والاختلاف المحمود، إنّ الواقع الإسلاميّ يبيّن أنّ مُعظم الخلافات مذمومة لأنّ كثيراً من أصحاب المذاهب والأفكار والمنتمين للطوائف والجماعات؛ لا يتحمّلون الرأي المخالف بل يسعون لاستئصاله، كذلك انتشرت ظاهرة التكفير التي أصبحت سِمة غالبة لخوارج العصر الحديث، فالخلافات داخل الأمّة واحدة من عوامل التراجع قال تعالى: (وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلاَّ تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ)[الأنفال: 73].
- **خامساً: الأطماع الخارجيّة:** تلك العوامل أظهرت الأمّة بمظهر الضعف، فقد عجزت أن تُحرّر القدس أولى القبلتين والحرم الثالث في الإسلام، هذا الضعف أطمع العدو فصار يُنفِّذ سياساته في بلاد المسلمين عبر بلدان وشخصيّات مُسلمة، وصارت ديارُ المسلمين ساحة

للحروب الدوليّة بالأصالة والوكالة، وفقدتِ الأمّة شخصيّتها الاعتباريّة، وصار الغربُ باهراً لكثيرٍ من الشباب المُسلم؛ لأنّه يجدُ عندهُ ما يفتقدهُ في بلده كالتنمية والحريّة واحترام حقوق الانسان..الخ فهاجر كثير من أبناء المسلمين للغرب طلباً للرزق أو فراراً من البطش أو تلبية لحاجة نفسيّة.

- **سادساً: الشعار الإسلاميّ:** اختطف من قِبل الغُلاة والمُتطرفين، فالمظالم المشار إليها أصبحت بيئة صالحة لولادة التطرف، واستغل المتطرفون هذا الواقع واندفعوا ينشدون التغيير فشنوا حرباً على الجميع وأعلنوا الجهاد على الكفار، فدفعوا بالأمّة إلى أتون حروب غير مستعدة لها، وهكذا وجد العدو فرصته ليعلن الحرب على كل المسلمين تحت شعار الحرب على الإرهاب، فتراجع الاهتمام بقضيّة المسلمين المركزيّة ـ احتلال فلسطين ـ وتحوّلت بلدان أخرى إلى بؤر متفجرة، اختلطت فيها الأوراق: فالإرهاب والاستهداف الطائفي والغلو عناصر أدت إلى تشويه صورة المسلمين، هنالك تحالف بين الاستبداد والتطرف وتيار المحافظين الجدد في أمريكا، هذا التحالف هو المسئول عن الكارثة التي تمر بها أمّتنا في الوقت الراهن. والكارثة الإنسانيّة التي يعيشها المسلمون في أفريقيا الوسطى تُبيّن حجم التواطؤ ضد أمّة الإسلام وازدواج المعايير الدوليّة، فهنالك تعتيم واضح على ما يواجهه المسلمون في أفريقيا الوسطى، فقد سمعنا أن لحوم البشر تُشوى وتُؤكل ونحن في بداية القرن الواحد والعشرين! نسأل الله اللطف ورفع الضيم عن المستضعفين في الأرض.
- **سابعاً:** الشعوب الإسلاميّة تملك طاقات كبيرة، ويجمعها توحد وجداني، ولديها أمل كبير في استعادة مجدها واعتزازها بالإسلام , لأنّها ما زالت تتميز بالنقاء ولم تتلوث بأمراض السُلطة والثروة , فهي تتطلع إلى استعادة مجدها والاعتزاز بدينها , وتفتقد من يقودها ويضعها في المسار الصحيح.

المحور الثالث: التعليم والنهوض الحضاري:

في حوار الله سبحانه وتعالى مع الملائكة بيّن لهم أنّه جاعل في الأرض خليفة، وعندما جاء هذا الخليفة كان أوّل ما أكرمه الله به نعمة التعليم؛ مما يدل على مكانة التعليم وأهميّته للإنسان، قال تعالى: (وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى المَلائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ(31) قَالُوا سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ العَلِيمُ الحَكِيمُ) [البقرة:31-32] وأوّل آيات القرآن نزولاً كانت تحث على القراءة، وبيّنت كيف أن الله الأكرم علّم الإنسان مالم يعلم وأن القلم هو وسيلة التعليم، وللمعرفة الإنسانيّة عند المسلمين مصدران رئيسان: هما الوحي السماوي المنزل من الخالق سبحانه وتعالى، والعلوم المكتسبة في مختلف مجالات المعرفة والتي تجمّعت عبر الأجيال المتعاقبة من السُلالة البشريّة إلى اليوم، فالوحي السماوي في هدايته للبشريّة يتعرّض لعلاقة الأفراد بخالقهم، ولعلاقة كل فرد منهم بذاته وأهله وذوي قرباه، وبمجتمعه، وأمّته، وبالأسرة الإنسانيّة كلها على اختلاف ألوانها ومواطنها وألسنتها.. أمّا ما عدا ذلك من أمور الكون الماديّة وصور الحياة فيه، وما يحكم ذلك من قوانين لا تتبدل ولا تتغير، ولا تتوقف ولا تتخلف، فقد تُرك لاجتهاد الإنسان وتحصيله، ووسيلته في ذلك عقله وحواسه، وهما على روعتهما محدودان بحدود قدرات الإنسان، وبحدود مكانه على الأرض وزمانه أي: عمره، وكلها حدود جعلت منجزات الإنسان في حقل المعارف الماديّة المكتسبة تأتي حثيثة بطيئة، لها طبيعة تراكميّة، فتتضاعف مع الزمن ومع نُموّ الحاجة إلى المعرفة، والرغبة في الوصول إليها إشباعاً لتلك الفطرة الطيبة التي غرسها الله في الجِبِلّةِ الإنسانيّة، ألا وهي حُب الحق، وحُب التعرّف عليه، والتي يعبر عنها أحياناً بحب الاستطلاع والجري وراء كسب المعرفة[11].

[11] راجع أ. د. زغلول راغب محمد النجار ، بحث بعنوان : الدور الرائد للحضارة الإسلامية في مجال العلوم البحتة والتطبيقية وأثر ذلك في الحضارة المعاصرة ، منشور ضمن بحوث المؤتمر الدولي الثالث الذي نظمه المنتدى العالمي للوسطية في الأردن في أيلول 2007 م

إن نهضة المسلمين قديماً قامت على العِلْم، والنّصوص الشرعيّة في القرآن والسُنّة التي حَثّتْ على العِلْم كثيرة، بل ذكرت أنّه لا مقارنة بين أهل العِلْم وغيرهم، ومن ذلك ما ورد في هذا الحديث النبوي الشريف: عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: سمعتُ رسول الله صل الله عليه وسلم يقول: ((مَنْ سلك طريقاً يطلب فيه عِلماً سلك الله به طريقاً من طرق الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضاً لطالب العِلم، وإنَّ العالم ليَستغفر له من في السموات ومن في الأرض، والحيتان في جوف الماء، وإنَّ فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب، وإنَّ العلماء ورثة الأنبياء، وإنَّ الأنبياء لم يورّثوا ديناراً ولا درهماً بل ورَّثوا العِلم، فمن أخذه أخذ بحظٍّ وافر))[12] وورد في القرآن الكريم قوله تعالى: (قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الأَلْبَابِ)[الزمر:9]. فبالعِلم قضى الإسلام على مظاهر الجاهليّة، وبالعِلم ارتقى بالإنسان إلى عقيدة التوحيد، وبالعِلم حقق التسامح والرقي الإنسانيّ، وبالعِلم استصحب ثمرة ما أنتجته المعرفة الإنسانيّة بعد تنقيح وتمحيص، وبالعِلم فتح الآفاق أمام الشعوب المستضعفة فنهضت وحققت إنسانيّتها:

كانت أوروبا ظلاماً ضل سالكه وشمس أندلس بالعِلم تهديه

كنا أساتذة الدنيا وقادتها والغرب يخضع إن قمنا نناديه

فالحضارة الإسلاميّة قدمت الكثير للإنسانيّة، ولم تكن إنجازاتها مقصورة على أبناء ديانة معيّنة أو جنس بعينه فقط، بل شملت كل من عاش في كنفها مسلماً كان أو غير مسلم.. ولعل من أبرز إنجازات المسلمين الحضاريّة؛ كانت الحضارة العلميّة؛ حيث حفظت للعالم تراث البشريّة في هذا المجال، عندما قام رواد الحضارة الإسلاميّة بترجمة ما وصل إليهم من كُتب اليونانيين والفرس والهنود والصينيين، ولكنهم لم يكتفوا بذلك، بل نقدوا وصوَّبوا، ثم ابتكروا وأبدعوا في مجالات العلوم والفنون والآداب؛ ليسطروا بعد ذلك في مسيرة الإنسانيّة تاريخاً ناصعاً مشرفاً، وحلقة مهمة من حلقاتها، لا يمكن تجاهلها[13].

وعندما تراجع دور العِلم في حياة المسلمين، تراجع عطاؤهم وانتكست مسيرتهم، وانتشرت بينهم الأمراض الحالقة: الجهل، والتعصّب، والفقر، وهي سبب رئيسي لتخلف مجتمعات المسلمين، فصارت مهيأة للغزو الخارجي السياسيّ والثقافيّ، بل ابليت بمظاهر الانحلال في عدد من المجالات.

إن التشخيص الدقيق للواقع والتعرّف على العِلل يُمَكّن من وضع المنهج الصحيح للنهوض الحضاري، ولا شك أن العِلم هو مفتاح تجاوز الحالة الراهنة التي تعيشها أمّتنا الإسلاميّة. ولكي تنهض أمّتنا وتحقق الخيريّة والاستخلاف والشهود الحضاريّ؛ فهي مطالبة عبر نُخبِها أن تُصمم برنامجاً يدرك الواقع ويهتم بالمعرفة في مجالاتها المختلفة حتى تتمكّن هذه الأمّة من استعادة دورها الذي ستحاسب عليه يوم القيامة قال تعالى: (وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا اليَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (28) هَذَا كِتَابُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ)[الجاثية:28-29].

إن تشخيص الواقع الإسلاميّ الذي سبق في المحور الأوّل يتطلب اهتماماً بالعلوم وتطوير مناهجها لتواكب تطلعات الأمّة الإسلاميّة في هذا العصر، والعِلم المقصود هو العِلم النافع المرتبط بالعمل، إن عناصر الربط بين العِلم النافع والعمل الصالح ليعبّر عن حركةٍ حياتية مستمرة قائمة على التواؤم

---

[12] أبوداود :كتاب العلم ، باب الحث على طلب العلم (3641) ، والترمذي (2682) ، وابن ماجة (223) ، وأحمد (21753) ، والدارمي (342) ، وابن حبان (88) ، قال الألباني صحيح . انظر : صحيح الجامع (6297)

[13] أ. د. راغب السرجاني، المشترك الإنساني، ص (245–246) الطبعة الأولى 1432 هـ - 2011 م مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة – القاهرة

والتفاعل. إن العِلم بلا عمل ليس إلا عطالة حضاريّة[14] وعليه فإن من أهمّ قواعد النهوض الحضاريّ لهذه الأمّة في مجال التعليم ينبغي أن تقوم على الآتي:

أولاً: صياغة منهجيّة معرفيّة تنطلق من القرآن الكريم؛ توفق بين حقائق الكتاب المسطور ـ القرآن ـ وسنن الكون المنثور، منهجيّة معرفيّة تملك القدرة على إعادة بناء الإنسانيّة من خلال المنهج والمعرفة والثقافة، وإحداث التغيير في المجتمع، واحتواء تناقضاته والقضاء على سلبياته، وتحويلها إلى عوامل تفاعل بَنّاء، وتجاوز ثنائيات الصراع والتقابل، إلى وحدة في تنوع؛ وتوحد في تعدد، هذه المنهجيّة المعرفيّة للقرآن الكريم تصاغ بصورةٍ تُمكّن الإنسانيّة من الاهتداء بهداية القرآن الحكيم، وضبط عقولها ومعارفها ومسيرتها الثقافيّة والحضاريّة بضوابطه وموازينه فتتحرك في ظل هديه وهيمنته من منطق الظاهرة الكونية، والتجربة الإنسانيّة، والسنن الإلهيّة، والقواعد الكونيّة الاجتماعيّة، لتكون حركتها منسجمة مع الغيب منفتحة على آفاقه، منطلقة من عمق التجارب العلميّة والنهايات الفلسفيّة باتجاه عالميّة الهُدى الخالص والدين الحق المحتم ظهوره على الدين كلّه ولو كره الكافرون[15].

ثانياً: استيعاب المنهج التعليمي لمطالب الإنسان الفطريّة؛ ذكر علماؤنا أن أحكام الإسلام في مجملها جاءت لتحقيق مصالح العباد في الدنيا ودار المعاد، وأن المصالح تنقسم ثلاثة أقسام: ضروريات وحاجيات وتحسينات، غير أن مناهجنا التعليميّة المعاصِرة لم تتناول هذه المصالح بصورة تجعل لها أثراً في الواقع، مما جعلها عاجزة عن تلبية كثير من المطالب الإنسانيّة الملحّة، فاضطر كثير من أبناء المسلمين للبحث عن تحقيق مطالبهم في الحضارات الأخرى، وخاصّة الحضارة الغربيّة.

إنّ الإنسان محتاج لإشباع متوازن للمطالب الفطريّة التي يحتاجها كل إنسان حيثما وُجد: إيمانيّة، ماديّة، وعاطفيّة، واجتماعيّة، ومعرفيّة، وعقليّة، وفنيّة، ورياضيّة، وبيئيّة. هذا المنهج الشامل يستجيب لعالميّة الإسلام ويؤكد معنى الآية الكريمة (فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لاَ تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ القَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ)[الروم:30].

ثالثاً: المنهج التفاعلي؛ الأسلوب المتبع حاليّاً يعتمد على الرواية وذِكر مآثر السلف والانبهار بما أنجزوا دون أن يكون لذلك أثر في حياة المسلم المعاصِر، لأنّ المنهج المتبع يستصعب تكرار تجربة السلف لخصوصيّة عصرهم وتفوق قدراتهم، مع أن القرآن الكريم يَنُصّ بوضوح: (تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلاَ تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلاَ تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ)[البقرة:114]. المطلوب أن تُرسِّخ المناهج التعليميّة ثبات النّصوص في الكتاب والسُنّة وتُجدِّد الخِطاب لكل الناس على اختلاف عصورهم، وأن العطاء الإلهي لم يتوقف في عصر معين ولم يختص بأشخاص دون آخرين قال تعالى: (كُلاًّ نُّمِدُّ هَؤُلاءِ وَهَؤُلاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُوراً)[الإسراء:20] المنهج التفاعلي هو الذي ينمّي ملكة التفكر والتدبّر والتعقّل والمقارنة والتوازن.

رابعاً: إعداد المُعلّم القدوة؛ إنّ التعليم بالقدوة من أكثر أساليب التعليم تأثيراً، ولذلك اهتمّ الإسلام بهذا الأسلوب، قال تعالى: (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً)[الأحزاب:21]. والمُعلِّم القدوة هو الذي يُجسِّد ما يُعلِّمهُ لتلاميذهِ في سُلوكهِ ومعاملاتهِ، فالرسول صل الله عليه وسلم كان قدوة لأصحابه في كل ما يأمرهم به، جَسَّد ذلك في مواقف كثيرة صحبت مسيرة الدعوة منذ بزوغها، فعندما أمر بتبليغ الدعوة بدأ بسؤال استنطق به المخاطبين عن

---

[14] أ. عبده ابراهيم، المدخل المقاصدي، بحث منشور في كتاب معجم مفاهيم الوسطية – نموذج لبناء المفاهيم الأساسية من منظور حضاري، الجزء الأول، ص (168) منشورات مركز الحضارة للدراسات السياسية ومنتدى النهضة والتواصل، الطبعة الأولى 1432هـ - 2011م الخرطوم – السودان

[15] د طه جابر العلواني، من مقدمة كتاب: منهجية القرآن المعرفية، للأستاذ: أبو القاسم حاج حمد ص (9، 10، 11) بتصرف، الطبعة الأولى 1424هـ 2003م دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت

رأيهم فيه قبل أن يبلّغهم رسالة ربه، روى الإمام أحمد عن ابن عباس قال: لما أنزل الله (وأنذر عشيرتك الأقربين) أتى النبي صل الله عليه وسلم الصفا فصعد عليه ثم نادى: ((يا صباحاه)) فاجتمع الناس إليه بين يجيء إليه وبين رجل يبعث رسوله. فقال رسول الله صل الله عليه وسلم: ((يا بني عبد المطلب، يا بني فِهر، يا بني كعب، أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلاً بسفح هذا الجبل تريد أن تغير عليكم صدقتموني؟)) قالوا: نعم! قال: ((فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد))[16] فبناء الثقة بين المُعلِّم والمخاطبين أوّل مدخل لاستيعاب ما يقول، ومع أنهم عاندوا إلا أن كفرهم لم يكن عن تكذيب، وإنّما كان جحوداً مع استيقانهم بصدقه, وفي الصبر على الأذى والثبات على المبدأ كان مثلاً يحتذى، وفي المشاركة في بناء المسجد وفي حفر الخندق وفي التناوب في امتطاء البعير مع رفيقيه في غزوة بدر كان قدوة لأصحابه..وهكذا، فالمُعلِّم الذي يحترم القوانين ويتبع النُظم ويطبّق العِلْم عامل مهم في تحقيق أهداف التعليم، والمُعلِّم الناجح هو الذي تتوفر فيه الصِفات الآتية:

ـ الالتزام بآداب المِهنة واحترام تقاليدها وحفظ كرامتها.
ـ التمسّك بالمبادئ التربويّة الصميمة والإيمان بها.
ـ العمل على تحقيق النهضة الاجتماعيّة الشاملة.
ـ متابعة التطور العلمي وأثره في التقدم الحضاريّ.
ـ تحريك الطاقات البشريّة علميّاً وخُلقيّاً وثقافيّاً وإنسانيّاً[17].

خامساً: إصلاح البيئة التعليميّة: بيئة التعليم الناجح لا تتوقف فقط على جمال المبنى وتهيئة المناخ بتوفير أدوات التعليم فحسب بل أهمّ من ذلك البيئة الاجتماعيّة والنفسيّة واختيار الصُحبة الصالحة، فالظروف المحيطة بالإنسان لها أثر كبير في تفكيره وفي مواقفه وفي أنشطته المختلفة، وربما كانت عاملاً أساسياً في تشكيل شخصيته وتحديد مستقبله، فالتاريخ يحدّثنا: أن عنترة بن شداد كان منبوذاً من أبيه ومنكور النسب لسواد لونه، فأصبح عبداً لشداد وليس ابنه، هذه الأوضاع غطت على كل معاني النبل التي تكمُن خلف هذا الجسد الأسود المنبوذ من المجتمع الذي وُجد فيه، وكان المتاح له في ظل تلك الظروف الاجتماعيّة الظالمة وظيفة الرعي فقط، وظل كذلك حتى تعرّض قومه لهجوم كسر شوكتهم، وفرّ أبوه منهزماً فقال له: [كر يا عنترة] فقال عنترة: العبد لا يحسن الكرّ إنما يحسن الحَلَب والصَر[18] فقال: كر وأنت حُر، فكرّ وهو يقول:

كلُ امرئ يحمي حـــــره أسوده وأحمره والواردات مشفرة[19]

كان لكلمات أبيه التي حرّرتهُ من قيدِ الرق أثر كبير في نفسه فقد غيّرت فيه الشعور بالدونيّة وحرّكت فيهِ كل الطاقات الكامِنة فتفجّرت شجاعةً، وحكمةً، وحباً، وعفةً، وإباءاً، ونُبلاً، فأتحف التاريخ بالقيم النبيلة التي ارتبطت به وصارت محل احتفاء حتى يومنا هذا! فهاهنا نجِد أثر تغير البيئة كبيراً. فالحالة النفسيّة ـ التي هي نتاج للبيئة الاجتماعيّة الظالمة ـ عندما تغيّرت جعلت البيئة الجديدة تساعد في ظهور ما كان غيّبهُ القهر. وقِصة الرجل الذي قتل تسعةً وتسعين نفساً تؤكد أثر البيئة على سلوك الإنسان، فعندما قرر القاتل التخلي عن سلوكهِ سأل عن التوبة فلما أجيب بأنّه لا توبة له قتل المسئول فأكمل العدد مائة، وسأل شخصاً آخر فأخبره بإمكانيّة التوبة لكنّه محتاج لتغيير المكان الذي يقيم فيه فعزم على الرحيل وهجر موقعه لموقع آخر لكن الموت قد أدركه قبل الوصول فغفر الله له! عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن نبي الله صل الله عليه وسلم قال: ((كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفساً، فسأل عن أعلم أهل الأرض فدل على راهب، فأتاه فقال: إنه قتل تسعة وتسعين نفساً، فهل له من توبة؟ فقال: لا. فقتله فكمل به مائة! ثم سأل عن أعلم أهل الأرض، فدل على رجل

---

[16] مسند الامام أحمد، وابن كثير، البداية والنهاية، المجلد الثاني ص (37) الطبعة الأولى 1408 هـ 1988م، دار الريان للتراث . القاهرة

[17] من ميثاق العلم العربي الذي أقرته الجامعة العربية في مارس 1968م بتصرف

[18] الصر: شد الضرع برباط، وفي النهاية (من عادة العرب أن تصر ضروع الحلوبات إذا أرسلوها إلى المراعى سارحة ، ويسمون ذلك الرباط الصرار فإذا راحت عشيا حلت تلك الصرار وحلبت)

[19] الشعر والشعراء لابن قتيبة الجز ء الأول (142) تحقيق وشرح محمد شاكر تاريخ الطبع 2003م دار الحديث . القاهرة

عالم فقال: إنه قتل مائة نفس فهل له من توبة؟ فقال: نعم، ومن يحول بينه وبين التوبة؟ انطلق إلى أرض كذا وكذا، فإن بها أناساً يعبدون الله تعالى فاعبد الله معهم، ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرض سوء، فانطلق حتى إذا نصف الطريق أتاه الموت فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب؛ فقالت ملائكة الرحمة: جاء تائباً مقبلاً بقلبه إلى الله تعالى، وقالت ملائكة العذاب: إنه لم يعمل خيراً قط، فأتاه ملك في صورة آدمي فجعلوه بينهم، فقال: قيسوا ما بين الأرضين فإلى أيتهما كان أدنى فهو له، فقاسوا فوجدوه أدنى إلى الأرض التي أراد فقبضته ملائكة الرحمة))[20] وهذا معناه أن الإنسان من شأنه أن يتأثر بالبيئة التي تحيط به، وأن سلوكه سيتشكل حسب طبيعتها، والحديث الشريف أكّد هذا، وفي مجال آخر بينت السنة النبويّة تأثر الإنسان بالوسط الذي يوجد فيه سلباً وإيجاباً عن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي صل الله عليه وسلم قال: ((مثل الجليس الصالح والسوء كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك إمّا أن يحذيك وإمّا أن تبتاع منه وإمّا أن تجد منهُ ريحاً طيبة، ونافخ الكير إمّا أن يحرق ثيابك وإمّا أن تجد منه رائحة خبيثة))[21] وفي القرآن الكريم وردت آيات كثيرة تشير إلى أثر البيئة على الإنسان ومواقفه وسلوكه، ففي بعض المواقف فإن مجرد وجود الشخص في ساحة معينة كفيل بإجراء الحكم عليه وإن لم يشترك مع الذين مارسوا الأفعال المُحرّمة قال تعالى: (وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللّهِ يُكَفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلاَ تَقْعُدُواْ مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ إِنَّ اللّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا)[النساء:140] فالآية توضّح أن مَنْ يجلس مع الذين يكفرون بآيات الله ويستهزئون بها سيكون حُكمه مثل حكمهم فكأنّه بجلوسهِ قد شاركهم في خوضهم، وفي سورة الأنعام جاء النهي قاطعاً بعدم مجالسة الذين يخوضون في آيات الله قال تعالى: (وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلاَ تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ)[الأنعام:68].

المحور الرابع: التربية والنهوض الحضاريّ:

اختلف الناس منذُ القِدم في فهمهم لمعنى التربية وللتطور الذي لحق مفهومها تبعاً لتطور الحياة والمجتمعات والقيم والمُثُل العُليا التي تتبناها هذه المجتمعات[22] وقد تعددت تعريفات التربية الإسلاميّة؛ بيدَ أن المفهوم الجامع لها يراد به تلك المفاهيم التي يرتبط بعضها ببعض في إطار فكري واحد، يستند إلى المبادئ والقيم التي أتى بها الإسلام نظريّاً وعمليّاً[23] وهي تربية مستقلة بذاتها لها أهدافها ومقوماتها التي تُميّزها عن غيرها من أنواع التربية الأخرى، ذلك أنّها تستمد مبادئها من القرآن والسنة والاجتهاد في غير ما ورد به نصّ[24] وهذه المبادئ، أو التعاليم لم يقتصر دورها على مجرد التلقين والشرح والحفظ، بل شملت التربية العمليّة والروحيّة لتكوين الأخلاق وما يرتبط بها من سلوك[25] ومعلوم أن هدف التربية الإسلاميّة يرمي إلى تحقيق الكمال الإنساني بغايتيه: التقرب إلى الله، وسعادة الدنيا والآخرة كما يقول الغزالي. وهذا الكمال التربوي يتلخّص في أربعة أغراض:

1) التثقيف العقلي والإعداد الفكري، وذلك عن طريق الأمر بالتفكر في الكون واستعمال العقل في الإيمان بالله والحض على العلم.

---

[20] متفق عليه والرواية لمسلم (2766) صحيح مسلم مكتبة الإيمان المنصورة أمام جامعة الأزهر، ص (1367) ورواه البخارى: (3470) صحيح البخارى مكتبة الإيمان المنصورة أمام جامعة الأزهر، ص (730)

[21] متفق عليه رواه البخارى في صحيحه (5534) ومسلم في صحيحه (2628)

[22] د. عثمان سيد أحمد محمد خليل، الشباب وأوقات الفراغ، دور التربية ووسائل الإعلام من المنظورين الإسلامي والوضعي، ص (37) منشورات أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية الرياض الطبعة الأولى 1422هـ - 2001م

[23] سعيد إسماعيل علي، أصول التربية الإسلامية، ص (6) دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة. 1978م

[24] صالح نابي، أصول التربية الإسلامية، بحث مقدم إلى ندوة خبراء أسس التربية الإسلامية المنعقدة بمكة المكرمة، في 1416هـ – 1980م ص (2-1)

[25] ابراهيم اللبان: التربية التي يحتاج إليها العالم الإسلامي

2) تنمية القوى والاستعدادات الطبيعية في الطفل ، إذ يولد على الفطرة ، ودور التربية المحافظة على تلك الفطرة النقيّة.
3) الاهتمام بقوة النشء وحُسن تربيته أيا كان نوعه ذكراً كان أم أنثى.
4) العمل على توازن القوى والاستعدادات الإنسانيّة.

وهنالك أهداف أخرى للتربية الإسلاميّة كالهدف المادي والاجتماعي، إلا أن أوضحها هو الهدف الخلقي[26] وهذا التمازج بين التربية الإسلاميّة والأخلاق يقول فيه عبد الرحمن بيصار: (العِلم بالفضائل وكيفيّة اقتنائها ليتحلى بها الإنسان والعِلم بالرذائل وكيفيّة توقيها، ليتخلى عنها والإلمام بقواعد السلوك الإنسانيّ، وبالمقياس الذي تقاس به أعمال الإنسان الإراديّة فيحكم عليها بأنها خير أو شر مع تحديد الجزاء لكل منها)[27].

تعاني الأنظمة التربويّة المعاصِرة من أزمة تربويّة، وتنبع هذه الأزمة من إشكاليّة الوظائف والأدوار التي تؤديها هذه الأنظمة، وتتمثّل هذه الأزمة في إشكاليّة العلاقة القائمة بين المدرسة وبين المجتمع. فالمدرسة ليست عالماً مستقلا يوجد في فراغ، بل نظام تتحدد وظيفته وصيرورته في جملة من العمليات الاجتماعية المتكاملة في إطار النظام الاجتماعي الشامل[28].

ويمكننا أن نحدد الجوانب الأساسيّة للأزمة التربوية المعاصِرة في الآتي:

1. غياب الصِلة العميقة بين مناهج المدرسة وبين التجرِبة الحياتيّة للأطفال والناشئة.
2. ينطلق العمل المدرسي من مبدأ حشو الذاكرة والاستظهار ، ويسجل غيابا ملحوظا لمبدأ التغذية الراجعة، والعمل على بناء الفكر النقدي الفاعل عند التلاميذ.
3. تعاني العلاقات المدرسيّة من إكراه العلاقات البيروقراطية وانحسار التفاعل التربوي بين المعلمين والتلاميذ والطلاب والإدارة، كما تعاني من غياب عنصر المبادرة ومبدأ المسئوليّة في العمل التربوي.
4. لم تستطع المدرسة احتواء معطيات التطور التكنولوجي المتدفق، وما زالت هذه المعطيات بعيدة عن متناول حركتها ونشاطها.

ويشكل البُعد الزمني لعمليّة إنتاج المعرفة الإنسانيّة وتوزيعها الخلفيّة الأساسيّة للأزمة التربوية في العالم المعاصِر[29].

ولغرض النهوض الحضاري مع استصحاب الواقع مطلوب صياغة مناهج تربوية تركز على ثلاثة مفاهيم مهمّة في هذا العصر، أرى أن عدم الوعي بها سبب أزمات أقعدت بأمّتنا تلك المفاهيم هي:

أولاً: اتباع الحق مهما كان مصدره: إن كان هدف الإنسان الوصول إلى الحقيقة فلا يضيره أن يجده عند غيره، قال الإمام الشافعي: (ما كلمتُ أحداً قط إلا وأحببتُ أن يُوفق ويُسدد ويُعان، وما كلمتُ أحداً قط إلا ولم أبال بيّن الله الحقَ على لساني أو لسانهِ)[30] قال الحافظ ابن رجب معلّقاً على كلام الشافعي: (وهذا يدل على أنه لم يكن له قصد إلا في ظهور الحق، ولو كان على لسان غيره ممن يناظره أو يخالفه، ومن كانت هذه حاله، فإنه لا يكره أن يرد عليه قوله، ويتبيّن له مخالفته للسنة لا في حياته ولا بعد مماته، وهذا هو الظن بغيره من أئمة الإسلام الذابين عنه، القائمين بنصره من السلف والخلف ولم يكونوا يكرهون مخالفة من خالفهم ـ أيضاً ـ بدليل عرض له ولو لم يكن ذلك الدليل قوياً عندهم بحيث يتمسكون به، ويتركون دليلهم له)[31] فالمؤمن ينبغي أن يكون الحق مطلبه أنى وجده أخذ به، ولا يستنكف من الخضوع له حتى وإن جاء من خصمه، فالتعصب للرأي مع مخالفته

---

[26] د. السيد الشحات أحمد حسن؛ الصراع القيمي لدى الشباب ومواجهته من منظور التربية الإسلامية, ص (261) دار الفكر العربي . القاهرة

[27] محمد عبد الرحمن بيصار، العقيدة والأخلاق وأثرهما في حياة الفرد والمجتمع، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ص (224) ط 4، 1976م

[28] د. علي أسعد وطفة، إشكالية الإصلاح التربوي في الوطن العربي: تحديات وتطلعات مستقبلية، بحث منشور

[29] المرجع السابق

[30] الفقيه والمتفقه (5/2) المصدر فن الحوار لفيصل الحاشرى (65)

[31] الفرق بين النصيحة والتعيير ، ص (31) المصدر السابق، ص (65)

للصواب نهج مذموم، وسيرة السلف تذخر بشواهد قبولهم للحق الصادر عن غيرهم وتخليهم عن رأيهم حيثما تبين خطأه قال الغزالي رحمه الله: (التعاون على طلب الحق من الدين، ولكن له شروط وعلامات.. منها أن يكون في طلب الحق كناشد ضالة لا يفرّق بين أن تظهر الضالة على يده أو على يد من يعاونه، ويرى رفيقه معيناً لا خصماً، ويشكره إذا عرفه الخطأ أو أظهر له الحق.. فهكذا كانت مشاورة الصحابة رضي الله عنهم حتى أن امرأة ردت على عمر رضي الله عنه ونبّهته إلى الحق وهو في خطبته على ملإ من الناس فقال: أصابت إمرأة وأخطأ رجل، وسأل رجل عليّاً رضي الله عنه فأجابه فقال: ليس كذلك يا أمير المؤمنين، ولكن كذا وكذا، فقال: أصبتَ، وأخطأتُ، (وفوق كل ذي عِلم عليم)[32] هذا النهج لا شك أنهم تعلموه من رسول الله صل الله عليه وسلم فلم يعرف عن العرب قبل مجئ الإسلام أنهم كانوا موضوعيين في أحكامهم ومواقفهم بل سجلت أشعارهم تعصّباً للقبيلة واعتداداً بالرأي مهما كان خطؤه، وقد سجل شاعرهم دُريد بن الصمة ما سبقت الإشارة إليه بقوله:

وهل أنا إلا من غزية إن غوت غويت وإن ترشد غزية أرشد[33]

وكان الصحابة رضي الله عنهم يتحاورون ويتشاورون بحثاً عن الحق ليتبعوه، فصحبتهم لرسول الله صل الله عليه وسلم جسّدت فيهم روح الإسلام لأنهم عايشوا كيف كان الرسول يستشير أصحابه بالرغم من أنه مسدد بالوحي، عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: (أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه خرج إلى الشام حتى إذا كان بسرغ لقيه أهل الأجناد ـ أبو عبيدة بن الجراح وأصحابه ـ فأخبروه أن الوباء قد وقع بالشام قال ابن عباس: فقال عمر: ادع لي المهاجرين الأولين فدعوتهم فاستشارهم وأخبرهم أن الوباء قد وقع بالشام فاختلفوا، فقال بعضهم: خرجت لأمر ولا نرى أن ترجع عنه، وقال بعضهم: معك بقية الناس وأصحاب رسول الله صل الله عليه وسلم ولا نرى أن تقدمهم على هذا الوباء، فقال: ارتفعوا عني، ثم قال: ادع لي الأنصار، فدعوتهم له فاستشارهم فسلكوا سبيل المهاجرين، واختلفوا كاختلافهم، فقال: ارتفعوا عني، ثم قال: ادع لي من كان ههنا من مشيخة قريش من مهاجرة الفتح فدعوتهم فلم يختلف عليه رجلان فقالوا: نرى أن ترجع بالناس ولا تقدمهم على هذا الوباء، فنادى عمر رضي الله عنه في الناس: إني مصبح على ظهر فأصبحوا عليه، فقال أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه: أفراراً من قدر الله؟ فقال عمر رضي الله عنه: لو غيرك قالها يا أبا عبيدة! [وكان عمر يكره خلافه] نعم، نفر من قدر الله إلى قدر الله، أرأيت لو كانت لك إبل فهبطت وادياً له عدوتان، إحداهما خصبة والأخرى جدبة أليس إن رعيت الخصبة رعيتها بقدر الله وإن رعيت الجدبة رعيتها بقدر الله؟ قال: فجاء عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه وكان متغيّباً في بعض حاجته فقال: إن عندي من هذا عِلماً سمعت رسول الله صل الله عليه وسلم يقول: ((إذا سمعتم به بأرض، فلا تقدموا عليه، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فراراً منه)) قال: فحمد الله تعالى عمر رضي الله عنه ثم انصرف)[34] فخليفة المسلمين استشار المهاجرين واستشار الأنصار فلما اختلفوا عليه استشار أهل الخبرة فأخذ بإجماعهم الذي دعمه التشريع النبوي وكان بإمكانه أن يصدر قراره بالعودة دون الرجوع إليهم لأن الضرر واقع لا محالة إذا دخلوا، ومبدأ المصلحة يعطيه هذا الحق، ولكنها التربية النبوية التي حرصت على الشورى في كل ما يتعلق بشئون الأمّة لترسى مبادئ الحكم الراشد القائم على الشفافية والمشاركة وأبو عبيدة أمين الأمّة يكِن له خليفة المسلمين احتراماً خاصّاً لمكانته في الإسلام ولشهادة الرسول له بأنّه أمين هذه الأمّة لذلك عندما اعترض لم يعنّفه عمر وإنّما برر له موقفه بشئ من واقع الحياة. ومن أسباب رفض أهل مكة للإسلام احتجاجهم بأنّه لم يأت عن طريق زعمائهم الذين هم أولى ـ في نظرهم ـ من رسول الله وقد رد عليهم الله سبحانه وتعالى داحضاً

---

[32] إحياء علوم الدين (47/1) الغزالي

[33] الشعر والشعراء لابن قتيبة الجزء الثانى ، ص (738) دار الحديث القاهرة طبعة 1421هـ – 1982م

[34] متفق عليه: رواه البخارى (5729) صحيح البخارى، ص (1200) ومسلم (2219) صحيح مسلم ، ص (1120) والرواية لمسلم

منطقهم قال تعالى: (وَلَمَّا جَاءهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ * وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ * أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ)[الزخرف:30-32] لقد رفض الإسلام هذا الأسلوب وطلب من المسلمين أن يخضعوا للحق مهما كان مصدره قال صل الله عليه وسلم: ((الحكمة ضالة المؤمن أينما وجدها فهو أحق الناس بها))[35].

ثانياً: ترسيخ ثقافة الاعتدال والتوازن: التطرّف، والغُلو، والتعصّب، والتشدّد، مصطلحات متقاربة المعنى وهي مواقف وممارسات تنمو في تربة البيئة المأزومة. وهي تعكس حالة أصحابها النفسيّة أكثر من كونها التزاماً بتعاليم دينيّة، فالإسلام جاء بالوسطيّة في العقيدة وبالتيسير في العبادات، وبالتدرج في الأحكام، وباللين في المعاملات، وبالتسامح في الفِكر، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صل الله عليه وسلم قال: ((إن الدين يسر، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه فسددوا وقاربوا وابشروا، واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة))[36] وهذا يُفسّر حال المتشددين فإنّهم بنهجهم المتشدد يرهقون أنفسهم فتعجز عن المواصلة فيلجئون إلى العُزلة هروباً أو ينتحرون يأساً، وعندما برزت مظاهر الغُلو في بداية الدعوة صححها رسول الله حتى لا تكون منهجاً إسلاميّاً في المستقبل. عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي صل الله عليه وسلم، يسألون عن عبادة النبي صل الله عليه وسلم، فلمّا أخبروا كأنهم تقالوها [أي: قالوا هذه العبادة بالنسبة لنا قليلة] فقالوا أين نحن من النبي صل الله عليه وسلم، قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، قال أحدهم: أما أنا فإني أصلى الليل أبداً، وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً، فجاء رسول الله صل الله عليه وسلم فقال: ((أأنتم الذين قلتم كذا وكذا؟ أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له؛ لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني))[37] .. هكذا اجتث رسول الله بذور التطرف قبل أن تنبت وتنمو فتنحرف بعقيدة المسلمين نحو الغلو. لأن الإسلام دين الوسطية، قال تعالى: (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا..)[البقرة:143] وبعد أن ابتعد الناس من منبع النبوة الصافي أطلت ظاهرة الغُلو مرة أخرى خاصّة في عهد الفتنة التي أعقبت مقتل الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه والأحداث التي أفرزتها فكانت مآلاتها قواصم لظهر أمّة الإسلام. فقد ظهر الغُلو أوّل ما ظهر على أيدي الخوارج الذين كفّروا جميع المسلمين الذين خالفوهم الرأي وعلى رأسهم أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب لأنّه قبل التحكيم مع معاوية وقالوا: ـ لا حكم إلا الله ـ والتي رد عليها عليّ بأنها: (كلمة حق أريد بها باطل)[38] . لقد كان الخوارج أهل صيام وصلاة كما وصفهم الشهرستاني إلا أنهم كانوا غلاة في أفكارهم فاعتبروا مرتكب الكبيرة كافراً وخرجوا على أئمتهم للهفوة الصغيرة ويتشدد كثير منهم في النظر إلى مخالفيهم من المسلمين فيعدونهم كفاراً[39] بل كانوا يعاملونهم بما هو أقسى من معاملة الكفار. وقد تنبأ بهم رسول الله صل الله عليه وسلم، ففي الصحيحين: (أن أبا سعيد الخدرى قال: بينما نحن عند رسول الله صل الله عليه وسلم وهو يقسم قسماً أتاه ذو الخويصرة ـ وهو رجل من بني تميم ـ فقال: يا رسول الله اعدل! فقال: ((ويلك ومن يعدل؟ قد خبت وخسرت إن لم أكن أعدل)) فقال عمر: يا رسول الله ائذن لي فيه فأضرب عنقه، فقال: ((دعه فإن له أصحاباً يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم، يقرؤن القرآن لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، ينظر إلى نصله فلا يوجد فيه شئ ثم ينظر إلى قذذه فلم يوجد فيه شئ قد سبق

---

[35] رواه الترمذي

[36] رواه البخاري (39) صحيح البخاري، ص (21) مكتبة الإيمان

[37] متفق عليه: رواه البخاري (1151) المصدر السابق، ص (1079)ومسلم (1401) صحيح مسلم ، ص (664) مكتبة الإيمان ـ القاهرة

[38] الأحكام السلطانية للماوردى، ص (34) موقع الوراق: www.alwaraq.net

[39] الملل والنحل للشهرستانى (106– 137) دار الكتب العلمية ـ بيروت

الفرث والدم، آيتهم رجل أسود، إحدى عضديه مثل ثدي المرأة أو مثل البضعة تدردر، ويخرجون على حين فرقة من الناس)) قال أبو سعيد: فأشهد أني سمعت هذا الحديث من رسول الله صل الله عليه وسلم، وأشهد أن علي بن أبي طالب قاتلهم وأنا معه فأمر بذلك الرجل فالتمس فأتى به حتى نظرت إليه على نعت رسول الله صل الله عليه وسلم الذي نعته)[40]. فهؤلاء عباد زهاد ولكنهم لم يكونوا من أهل الفقه والحكمة فانحرفوا عن الصراط المستقيم.

الإمام الغزالي في رسالته بعنوان: (فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة" يقول: (الكفر: هو تكذيب الرسول في شئ مما جاء به، والإيمان تصديقه في جميع ما جاء به.. إلى أن يقول: اعلم أن الذي ذكرنا مع ظهوره تحته غور، بل تحته كل الغور لأن كل فرقة تكفّر مخالفها وتنسبه إلى تكذيب الرسول عليه الصلاة والسلام: فالحنبلي يكفِّر الأشعري زاعماً أنه كذّب الرسول في إثبات الفوق لله تعالى وفي الاستواء على العرش، والأشعري يكفّره زاعماً أنه مشبه وكذّب الرسول في أنه [تعالى]: (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ)[الشورى:11] والأشعري يكفِّر المعتزلي زاعماً أنه كذّب الرسول في جواز رؤية الله تعالى، وفي إثبات العِلم والقدرة والصِفات له، والمعتزلي يكفّر الأشعري زاعماً أن إثبات الصِفات [تكثير][41] للقدماء وتكذيب للرسول في التوحيد، يقول الغزالي: ولا ينجيك من هذه الورطة إلا أن تعرف حد التكذيب والتصديق وحقيقتهما فيه، فينكشف لك غُلو هذه الفرق وإسرافها في تكفير بعضها بعضاً.. وحقيقة [التصديق] الاعتراف بوجود ما أخبر الرسول صل الله عليه وسلم عن وجوده، إلا أن للوجود خمس مراتب، ولأجل الغفلة عنها نسبت كل فرقة مخالفها للتكذيب [فالوجود]: ذاتي وحسي وخيالي وعقلي وشبهي)[42] وبإدراك حقيقة كل مرتبة يعرف الإنسان أن كل مخالف ذهب مذهباً نظر فيه إلى الأمر من جانب وأغفل الجوانب الأخرى ولو نظروا للأشياء بهذا العمق لالتمسوا الأعذار لبعضهم بعضاً واتهموا أنفسهم بالتقصير.

ثالثاً: توضيح مرجعيات علم السعة: من عوامل الوهن التي أصابت هذه الأمّة التكييف الخاطئ لطبيعة الاختلاف في الأمور الاجتهاديّة، مما أدى إلى نزاعات وحروب دمويّة بين المسلمين، فينبغي لمنهج التربية المطلوب أن يبيّن طبيعة هذا الاختلاف وأسبابه. فالاختلاف الذي حدث ويحدث داخل ملة الإسلام؛ هنالك أسباب موضوعية تجعله مبرراً بل وضرورياً في بعض الأحيان، لأن الشعوب التي يخاطبها دين الإسلام شعوب مختلفة العادات والطبائع والأعراف والتقاليد، وعالميّة الإسلام تعني مخاطبته لكل العالمين، وهم يعيشون في بيئات مختلفة، وأحوال مختلفة، وأزمان متعاقبة، فلا بد للدين الخاتم أن يستجيب لهذا الاختلاف وهذا التنوع فهذه الاستجابة من شروط عالميّة الدين وخلوده. والعوامل التي تجعل الخلاف الاجتهادي في داخل المِلة واقعاً حتميّاً ومشروعاً كثيرة أذكر منها الآتي:

1) اللغة:

مصدر التشريع الأوّل في الإسلام هو القرآن الكريم وقد نزل باللغة العربيّة الفصيحة، والعربيّة حبلى بالمعاني فقد تحمِل الكلمة الواحدة أكثر من معنى، وتعدد المعاني يؤدى لاختلاف الأحكام، وردت في القرآن الكريم عدة المطلقة في قوله تعالى: ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلاَثَةَ قُرُوَءٍ وَلاَ يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُواْ إِصْلاَحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[البقرة:228] القروء: جمع قُرء، والقُرء له معنيان: فالقُرء بمعنى الحيض، والقُرء بمعنى الطُهر من الحيض. فمن أخذ القُرء بمعنى الحيض أفتى بـأنّ المرأة المطلقة تخرج من عدتها عند دخولها في الحيضة الثالثة. ومَنْ أخذ القُرء بمعنى الطُهر مِن الحيض فالحكم عنده أن المرأة

---

[40] البداية والنهاية لابن كثير: (222/4) دار البيان للتراث الطبعة الأولى : 1408م – 1988م القاهرة

[41] في الأصل : (تكفير) ولعل الصواب تكثير

[42] مجموعة رسائل الإمام الغزالى ص: (239 – 240) إشراف مكتب البحوث في دارالفكر للطباعة والنشر والتوزيع : بيروت – لبنان طباعة: 2006م

المطلقة لا تخرج من عدتها الا بعد طُهرها من الحيضة الثالثة؛ فهنا نجد أن اختلاف الحكم راجع إلى تعدد المعنى في اللغة.

2) اختلاف القراءات:

القرآن نزل على سبعة أحرف أي أن صيغ المفردات اللغويّة واللهجات داخل اللغة العربيّة التي نزل بها القرآن سبع وعلى هذا الأساس جاء اختلاف القراءات. فمثلاً جاء في سورة المائدة في قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فاغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُواْ بِرُؤُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَينِ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُواْ وَإِن كُنتُم مَّرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاء أَحَدٌ مَّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لاَمَسْتُمُ النِّسَاء)[المائدة:6] قرأ نافع وابن عامر والكسائي وحفص ((وأرجلَكم)) بفتح اللام عطفاً على الأيدي، فالأيدي تُغسل والأرجُل تُغسل على هذه القراءة. وقرأ ابوعمرو بن العلاء وحمزة وشعبة ((وأرجلِكم)) بجر اللام عطفاً على الرؤوس فالرأس يُمسح والأرجُل تُمسح على هذه القراءة، وقال الجمهور: إن جر أرجلكم جاء على الجوار والإتباع. وحمزة والكسائي في قوله تعالى: ﴿أَوْ لاَمَسْتُمُ النِّسَاء﴾ قرآها ((أو لمستم النساء)) فالحكم يختلف من اللمس إلى الملامسة.
كذلك قرأ حمزة والكسائي في قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ)[الحجرات:6] قرآها ((فتثبتوا)) بدَل ((فتبينوا)) وهنالك فرق في الحكم بين التثبّت والتبيّن، فالأولى تطلب الإنتظار حتى تتضح الحقيقة والثانية توجب البحث لمعرفة الحقيقة.

3) السنة النبوية:

قُسمتِ السُنّة ثلاثة أقسام كبيرة تحتها فروع، هي: السُنّة المتواتِرة، والسُنّة المشهورة، وسُنّة الآحاد، وقد اختلف الأصوليون حول السُنّة لأسباب ترجع بعضها إلى الرواية: من حيث الجرح والتعديل فقد يكون الراوي ثِقة عند بعض علماء الحديث وقد يجرحهُ عالم آخر لِعِلّةٍ ظهرت له، وقد يَصِح السَنَد عند بعضهم فيُقبل، وقد لا يَصِح عند آخرين فيُرد، ومِن حيث الدراية فقد يُقبل الحديث مِن حيث الرواية ويُرد دراية لأنّه يُناقضُ أصلاً أقوى منه، وبعض أسباب الاختلاف ترجع إلى الناسخ والمنسوخ؛ فقد يقفُ أحد الفقهاء على حديث ناسخ لحديث لم يقف عليه غيرهُ، وقد يكون الخلاف حول حجية حديث الآحاد ونطاق تطبيقه، وتوجد أسباب كثيرة في هذا المجال تعرّض لها الأصوليون في مظانها، كما ان السُنّة لم تدوَّن بصفةٍ رسميةٍ إلا في القرن الثاني الهجري في عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز، والأحاديث جاء تصنيفها من حيث الصِحة والحسن والضعف والدرجة وفقاً لمناهج علماء الحديث وهي مناهج من وَضعِ المجتهدين, والسُنّة ليست على مرتبة واحدة: ففيها القطعي، وأغلبها ظني، والأحاديث جاءت متفرقة حسب الحوادث على مدى ثلاثة وعشرين عاماً ولم تُرتب ترتيباً زمانياً بل حسب موضوعاتها، وبعض الناس سمعوا حديثاً في زمنٍ ما وتفرّقوا في الأمصار وربما أتى حديث لاحق ناسخ للسابق ولم يسمعوا به. وهذا ما دعا الإمام مالك أن يقول للمنصور عندما رأى أن يلزم الناس بالموطأ قال له: (يا أمير المؤمنين لا تفعل هذا، فإنّ الناس قد سبقت لهم أقاويل، وسمعوا أحاديث، ورووا روايات، وأخذ كل قوم بما سبق إليهم، وأتوا به من اختلاف الناس، فدع الناس وما اختار أهل كل بلد منهم لأنفسهم..)[43] فالإمام مالك بهذا يقر بحق الآخر المختلف ويجد له تبريراً مشروعاً، ولا يهمل اختلاف البلدان وما يتبعه من اختلاف العادات والطبائع، والسُنّة على أنواع: فهناك سُنّة تشريعيّة؛ وأخرى تُكيّف ضِمن العادات البشريّة وأخرى تُعدُّ من الخصوصيّات النبويّة وهي تنقسم أربعة أقسام: وحي وفتيا وقضاء وسياسة شرعيّة، فالوحي والفتيا ملزمان، والقضاء أصدره الرسول بحسب حيثيات القضيّة والبيّنات التي ظهرت له ولذلك قال: ((إنّما أنا بشر وإنكم تختصمون إليّ ولعلّ بعضكم أن يكون ألحن بحجتهِ من بعض فأقضى له على نحو ما أسمع فمن

[43] حجة الله البالغة (307)

قضيتُ له بحق أخيهِ شيئاً فلا يأخذه فإنّما أقطع له قطعة من النار))[44]. والسياسة الشرعيّة لا إلزام فيها لأن الظروف تتغير والأحكام تتغير تبعاً لتغير أحوالها وأزمانها وقد لخّص هذا الأمر الإمام المهدي بقوله: "لكلِ وقتٍ ومقامٍ حال ولكلِ زمانٍ وأوانٍ رجال"[45]. يقول الإمام القرافي: "اعلم أن رسول الله صل الله عليه وسلم هو الإمام الأعظم, والقاضي الأحكم, والمفتى الأعلم, ..فما من منصب ديني الا وهو متصف به في أعلى رتبة غير أن غالب تصرفه صل الله عليه وسلم بالتبليغ, لأنّ وصف الرسالة غالب عليه, ثم تقع تصرفاته صل الله عليه وسلم منها ما يكون بالتبليغ والفتوى اجماعاً, ومنها ما يجمع الناس على أنه بالقضاء, ومنها ما يجمع الناس على أنه بالإمامة, ومنها ما يختلف العلماء فيه لتردده بين رتبتين فصاعدا, فمنهم من يغلب عليه رتبة, ومنهم من يغلب عليه أخرى, ثم تصرفاته صل الله عليه وسلم بهذه الأوصاف تختلف آثارها في الشريعة, فكل ما قاله صل الله عليه وسلم أو فعله على سبيل التبليغ, كان ذلك حُكماً عامّاً على الثقلين إلى يوم القيامة, فإن كان مأموراً به أقدم عليه كل أحد بنفسه, وكذلك المباح, وإن كان منهياً عنه اجتنبه كل أحد بنفسه, وكل ما تصرف فيه ـ عليه السلام ـ بوصف الإمامة, لا يجوز لأحد أن يقدم عليه إلا بإذن الإمام اقتداء به صل الله عليه وسلم, ولأن سبب تصرفه فيه بوصف الإمامة دون التبليغ يقتضى ذلك, وما تصرف فيه صل الله عليه وسلم بوصف القضاء لا يجوز لأحد أن يقدم عليه إلا بحكم حاكم, اقتداء به صل الله عليه وسلم, ولأنّ السبب الذي لأجله تصرف فيه صل الله عليه وسلم بوصف القضاء يقتضى ذلك"[46]. هذا التمييز له أهميّة كبيرة لأنّه يُوضّح الفرق بين السُنّة التشريعيّة وغيرها, وعدم التمييز هو أحد أسباب الأخطاء التى وقع فيها كثير من الناس, حيث ينزلون الحكم فى غير موضعه فتكون النتيجة سلبيّة، وبعضهم يُقدِم على فِعل الشيء مستنداً على السُنّة مع أن الفِعل قد يكون خاصّاً بالقضاء أو بالإمامة لا يجوز تنفيذه بواسطة الأفراد.

4) مصادر التشريع:

أجمع المسلمون على أن الكتاب والسُنّة هما المصدران الأساسيّان للتشريع في الإسلام، واستنبطوا منهما المصادر الأخرى كالإجماع والقياس, هذه المصادر تُعدُّ مصادر أصليّة عند أهل السُنّة، وهنالك مصادر فرعيّة: كعمل أهل المدينة والاستصحاب، وشرع مَنْ قَبلنا، والاستحسان، والمصالح المُرسلة، وغيرها من المصادر الفرعيّة المعروفة.

هذه المصادر الفرعيّة اختلف الفقهاء حولها بين مُضيّق ومُوسِّع ومُقدِّم ومؤخِّر، وهنالك أصول منسوبة لأئمة الفقه هي في الواقع مُخرَّجة على أقوالهم تخريجاً قام به المتأخرون، هذا الاختلاف حول مصادر التشريع أدى إلى اختلاف في الفتاوى والأفكار.

5) مشروعيّة الاجتهاد:

لقد أقرّ الإسلام الاجتهاد وحَثّ عليه وورد في الفصل السابق أن رسول الله صل الله عليه وسلم أقرّ اجتهاد صحابته في حياته في مواضعَ شتى، وقد طبّق المسلمون الاجتهاد في مراحل مُتعدِّدة مِن تاريخهم، ذكر الشعبي عن شريح أنه قال: قال لي عمر: (اقض بما استبان لك من كتاب الله، فإنْ لم تَعْلَم كل كتابِ الله فاقضِ بما استبان لك من قضاءِ رسول الله صل الله عليه وسلم، فإنْ لم تَعْلَم كل أقضية رسول الله صل الله عليه وسلم فاقضِ بما استبان لك من أئمة المهتدين، فإنْ لم تَعْلَم كل ما قضت به أئمة المهتدين فاجتهد رأيك واستشر أهل العِلْم والصلاح)[47] ففي كلام عمر مرونة شديدة حيث طلب من شريح أن يقضي بما استبان له ومعلوم أن الإستبانة نسبية فقد يستبين الأمر للإنسان في وقتٍ ولا يستبين له في وقتٍ آخر، وأوضح نص على مشروعيّة الاجتهاد قوله صل الله عليه

---

[44] أخرجه البخاري في صحيحه (7169) في كتاب الأحكام مكتبة الإيمان

[45] ابو سليم، الآثار الكاملة للإمام المهدي، الجزء الأول دار النش. جامعة الخرطوم

[46] الفروق للإمام العلامة شهاب الدين أبى العباس الصنهاجى المشهور بالقرافى، الجزء الأول ص (221) الطبعة الأولى 1423هـ. 2002م المكتبة العصرية للطباعة والنشر. بيروت

[47] إعلام الموقعين لابن قيم الجوزية، المجلد الأول، ص (164) دار الحديث ـ القاهرة

وسلم: ((إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر))[48] كذلك يُفهم معنى الاجتهاد من قوله تعالى: ﴿..فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الأبصار﴾[الحشر:2] فمن الطبيعي ان تختلف اجتهادات الفقهاء وفقاً لظروف كل فقيهٍ وقدرتهِ على الاستنباط والبيئة التي عاش فيها خاصّة وأن الإسلام اعطى المجتهد أجرين إن أصاب وأجراً واحداً إن أخطأ ما دام ملتزماً بشروط الاجتهاد.

6) إقرار الرسول للاختلاف النوعي والمحافظة عليه في إطاره:

فقد كان كثير من الصحابة فقهاء مجتهدون، واختلفوا حتى في حياته صل الله عليه وسلم في مواقفَ كثيرة أقرّهم عليها، وأشهر تلك المواقف اختلاف أبي بكر وعمر حول التعامل مع أسرى بدر، واختلافهم في صُلح الحُديبيّة، واختلافهم في الخُروج من المدينة في غزوة أحد، واختلافهم في صلاة العصر عندما أمروا ألا يصلوا إلا في بني قُريظة، كما أن كل واحدٍ منهم تميّز بصفةٍ دون غيره حتى اشتهر بها ومع مرور الزمن صارت الصفات الفرديّة والاهتمامات الشخصيّة مدارس داخل الأمّة: قال صل الله عليه وسلم: ((أرحم هذه الأمّة بها أبو بكر، وأقواهم في دين الله عمر، وأفرضهم زيد بن ثابت، وأقضاهم علي بن طالب، وأصدقهم حياءً عثمان بن عفان، وأمين هذه الأمّة أبو عبيدة بن الجراح، وأقرؤهم لكتاب الله أبي بن كعب، وأبو هريرة وعاء من العِلْم، وسلمان عالم لا يُدرك، ومعاذ بن جبل أعلمُ الناس بحلال الله وحرامه، وما أظلتِ الخضراء ولا أقلتِ الغبراء من ذي لهجةٍ أصدق من أبي ذر))[49].

إن المدارس الفقهية تطوّرت من مناهج فرديّة ، واشتهر عند الفقهاء تشدد ابن عمر، ووسطيّة ابن مسعود ورُخص ابن عباس.

7) المستجدات:

كما هو معروف فإنّ النصوص متناهية والحوادث غير متناهية، والممارسة العمليّة تبرز تحديات تحتاج الى معالجة، واجه هذا التحدي الصحابة يوم وفاة الرسول صل الله عليه وسلم فاختلفوا هل مات الرسول أم لم يَمت،كذلك اختلفوا في مكان دفن الرسول صل الله عليه وسلم حتى حسم ذلك أبو بكر بقوله: (سمعتُ من الرسول يقول : ((ما قُبِض نبي إلا دُفِن حيث قُبِض)) فرفع فراش رسول الله صل الله عليه وسلم الذي توفي فيه فحفروا له تحته)[50]. كذلك اختلفوا في أمر خلافته:(فقال الأنصار أنهم أحق بالخِلافة لأنّهم آووهُ ونصروهُ وقُبِض عندهم، وقال المهاجرون إنّهم أحقَّ بها لأ نّهم أهل السبق في الإسلام وأنّهم هاجروا معهُ وتركوا أموالهم وديارهم نُصرةً للدين وأن العرب لا تدين إلا لقريش، وغضب بنو هاشم لأنّهم غُيّبوا عن الشورى لانشغالِهم بتجهيز جثمانهِ صل الله عليه وسلم)[51] واختلفوا حول مانعي الزكاة هل يحاربونهم أم لا؟ واختلفوا في تقسيم الخراج.. وهكذا فرضتِ المستجدات واقعاً جديداً اقتضى اجتهاداً لمواجهة تحدياته وقضاياه التي لم تكن موجودة في حياة النبي صل الله عليه وسلم.

وخُلاصة القول: أن هنالك أسباباً موضوعيّة ـ سَبَقَ ذِكرها ـ تجعل الاختلاف أمراً حتميّاً وضروريّاً. ولهذا الاختلاف فوائد كما يقول الدكتور: طه بن جابر العلواني منها: (أنه يُتيح التعرّف على جميع الاحتمالات التي يُمكِن أن يكون الدليل قد رمى إليها بوجهٍ من وجوهِ الأدلة. وثانياً: إنه يُتيح رياضة للأذهان وتلاقحاً للآراء ويفتحُ مجالات التفكير للوصول إلى سائر الافتراضات التي تستطيع العقول المختلفة الوصول إليها. وثالثاً: إنه يتيح تعدد الحلول أمام صاحب كل واقعة ليهتدي إلى الحل

---

[48] أخرجه البخارى في صحيحه (7352) في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، مكتبة الإيمان ـ القاهرة

[49] أخرجه ابن عساكر في تاريخه (201/6) والعجلوني في كشف الخفاء (118/1) والعقيلي في الضعفاء (159/2) . الخضراء السماء . المختار (139) المصدر: موسوعة أصول الفكر السياسي والاجتماعي والاقتصادي من نبع السنة الشريفة وهدى الخلفاء الراشدين، إعداد خديجة النبراوى، المجلد الثانى (1085)

[50] البداية والنهاية لابن كثير(233/5) والسيرة النبوية لابن هشام الجزء الرابع، ص (207) مكتبة دار التقوى ـ القاهرة طبعة 1999م

[51] البداية والنهاية لابن كثير، (215/5–222)

المناسب للوضع الذي هو فيه بما يتناسب مع يسر هذا الدين الذي يتعامل معه الناس من واقع حياتهم)[52].

إنها فوائد يؤكدها الإنتاج الفكري والعلمي الذي تذخر به الساحة الإسلاميّة ويصدِّقها الواقع الذي أفرز قضايا معقدة تمكّن الفقهاء من التعامل معها.

إن الاختلاف بهذا الفهم ضرورة ولكنه يصبح وبالاً عندما يتحوّل إلى شِقاقٍ وفجور في الخصومة وهذا ما حدث في عصر الخوارج وعصرنا هذا حيث تصدى للفتوى من لا فقه له ففرض على الناس فهماً قاصراً وحاكَمَهُم على أساسهِ، وحمل لواء الإسلام الغُلاة فضلوا وأضلوا.

إن اختلاف الناس حول الحوادث المعاصِرة مثل الأخذ بوسائل العصر والاستفادة من تجارِب الآخرين والتعامل مع غير المسلمين والأخذ بالنُظم الحديثة التي أنتجها العقل البشري كالديمقراطيّة والأحزاب ومنظمات المجتمع المدني وكذلك الموقف من المرأة والفن والرياضة والنُظم الاقتصاديّة وأخيراً الاختلاف حول الجهاد، كل هذه الاختلافات وغيرها ترجع الى منهج كل جماعة وطريقة تفكيرها ورؤيتها للخلاف، فمنهم من يضعه في إطاره النوعي ومنهم من يغالي فيرفع سقفه إلى خلاف بين حق وباطل! والربانيون من الأمّة أجبروا على محاربة مخالفيهم ومع ذلك لم يكفروهم، سأل بعضهم علي بن ابي طالب عن أهل الجمل الذين حاربوه: (أمشركون هم؟ فقال رضي الله عنه: من الشرك فروا. قال: أمنافقون هم؟ قال: إن المنافقين لا يذكرون الله إلا قليلا، فقال له من هم إذن؟ قال كرّم الله وجهه: إخواننا بغوا علينا !!)[53]. فبالرغم من أنه الخليفة المبايع من جمهور الأمّة وقد خرج عليه أهل الجمل وشقوا عصا الطاعة وفرقوا كلمة الأمّة وسالت دِماء ودموع لكن أمير المؤمنين لم يغب عن ذهنه أنّه حامي رسالة وليس منتصراً للذات ولا منتقماً يجرد خصمه من أي فضيلة، وهذه الروح لم تغب عن عظماء الأمّة في عصورها المتعاقبة فأبو حنيفة يقول: (هذا الذي نحن فيه رأي لا نجبر أحداً عليه ولا نقول يجب على أحد قبوله بكراهية فمن كان عنده أحسن منه فليأت به)[54] فالمؤمن دائماً طالب حق لا يتعصب لرأيه إن ظهر له الصواب عند غيره، ومعلوم أنه في عصر التابعين ظهرت مدرستان: مدرسة أهل الحديث التي قامت على فقه الصحابة وآثارهم وكان على قمتها سعيد بن المسيب وعليها اعتمد المالكيّة والشافعيّة والحنابلة. ومدرسة أهل الرأي التي تعتمد على الرأي إن غاب الأثر وكان على قمتها إبراهيم النخعي، وعليها سار الأحناف دون أن يكفِّر بعضهم بعضاً، بل في عصور لاحقة عندما احتك كل فريق ببيئة الفريق الآخر أدرك أسباب هذا الاختلاف بينه وبين نظيره؛ وما آفة الفتوى إلا عدم الإحاطة بالموضوع محل الحُكم، والواقع الذي تتنزل عليه، فعدم الربط بين النّص والواقع وعدم ربط كل ذلك بالمقاصد يؤدي إلى إصدار أحكام توقع الناس في الحرج. إن كثيراً ممن تصدوا للفتوى في عصرنا هذا يُمكِن وصفهم بأنهم حفظة نُصوص ولكنهم ليسوا فقهاء، فالفقيه من يمتلك القدرة على استنباط الأحكام من النُصوص مع اعتبار الواقع ومراعاة المقاصد، فاستخراج الحكم مجرداً دون مراعاة الواقع وتعقيداته يوقع صاحبه في حرج، فلا بد لمن يتصدى للفتوى أن يدرك طبيعة الواقع المعاصر بتعقيداته وعلاقاته السياسيّة والاقتصاديّة والاجتماعيّة والإداريّة حتى لا يُغرِّد خارج السرب. والفتوى الفرديّة لا تكون مُجديّة في هذا العصر الذي توفرت فيه المعلومة بصورة غير مسبوقة، فهناك ضرورة إلى قيام مؤسسات للفتوى تضم كل التخصصات الشرعيّة والمدنيّة، تجمع علماء الشرع وعلماء السياسة والاقتصاد والطب والاجتماع والفلسفة والعلاقات الدوليّة والقانون حتى تتمكّن من إصدار فتاوى تقل فيها نسبة الخطأ وتكون جامعة مانعة. ومن المنكرات في هذا العصر إطلاق التُهم والأحكام جزافاً: فهذا كافر لأنه أدلى بتصريح يخالف هوى المفتي، وذاك زنديق لأنّه تبنى فكرة لا يعرف المفتي كنهها وآخر

---

[52] طه جابر العلواني، أدب الاختلاف في الإسلام، ص (25)، المعهد العالمي للفكر الإسلامي

[53] أخرجه البيهقي في السنن (8 / 173)

[54] الانتقاء (140)

مرتد لأنّه اتخذ موقفاً يتعارض مع موقف المفتى. هذه الفتاوى التكفيريّة تدخل في إطار البدعة لأنه لم يعرف عن الرسول صل الله عليه وسلم أنه أطلق مثل هذه الأحكام بهذه الصورة بل كان نهجه النهي عن التكفير، قال صل الله عليه وسلم: ((سباب المسلم فسوق وقتاله كفر))[55].

إن دراسة سيرة الرسول القدوة بعيون باصرة ستعطي نبراساً يضئ الطريق للسالكين وتبيّن سماحة الإسلام بترجمتها لأحكامه ومقاصده لواقع ملموس، وتجعل المسلمين يصرفون أنظارهم عن نهج التشدد والتكفير والتضييق على الناس، فالإسلام دين الرحمة والتيسير ورفع الاصر والحرج عن الناس وهو لا يتصادم مع الفطرة مطلقاً قال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[الروم:30] إن فهم الرأي الآخر والفكر الآخر والاجتهاد المخالف في إطار التنوع يُعدُّ أوّل خُطوةٍ في منهج الإصلاح الداخلي وتوفير الطاقات المُهدرة في الصراعات لتوظيفها للنهضة في مجالاتها كافة، علينا أن نُسقِط من قاموسنا عبارات [كافِر ومُلحِد وزِنديق وخائن وعميل ومهزوم..الخ] في مجال خلافاتنا الفكريّة والسياسيّة.
ومطلوب منا أن نجد مساحة في داخلنا لقبول الاجتهاد المخالف أو تفهمه على أقل تقدير.

الخاتمة: النتائج والتوصيات:

لا بد للأمّة من خطةٍ حضاريةٍ واضحة المعالم والغايات؛ تتفق عليها الصفوة المثقّفة والعقول الواعية مع الأجهزة الرسميّة في الدولة، لأنّ مثل هذه الخطة تكون بغير قيمة إذا انطلقت من غير أحلام الأمّة، أو انبثقت عن جهة غريبة عنها. ولا بد من أن تصبح الخطة التعليميّة جزءاً عضويّاً من الخطة الحضاريّة للأمّة؛ بحيث تتمثّل في مفرداتها روح هذه الخطة ويكون محققاً لها وموصلاً إليها.

ولكي تحقق الخطة التعليميّة الشرط السابق لا بد من مراجعة شاملة وتصحيح أساسي في المضمون والأسلوب؛ فأمّا في المضمون فتجدر مراجعة كل الجزئيات لتُعاد صياغتها بما يخدم التوجه الجديد، وأمّا في الأسلوب فلا بد من نبذ الأساليب التلقينية التي تعطل ملكة التفكير وتشل القدرة على الإبداع[56] ويمكننا أن نستفيد من تجارِب الدول التي حقّقت نهضة شاملة في المجالات كافة في ظروف أسوأ من الظروف التي تمر بها أمّتنا، ومثال لذلك التجرِبة اليابانيّة.

أهمّ ملامح وخصائص التعليم في اليابان تتمثّل في الآتي:

ـ يستمد النظام التربوي الياباني أهمّ مقوماته من طبيعة مجتمعه وروح أمّته واحتياجات وطنه، ولا يأتي انعكاساً لنماذج تربويّة خارجيّة.

ـ يستمد النظام الياباني نهضته الحديثة من جذوره ومؤسساته وتقاليده المتأصلة والقائمة بالفعل ولم يدمرها أو يهملها بدعوى قدمها وتقليديتها.

ـ يُعدُّ التعليم في اليابان خِدمة وطنيّة عامّة وواجباً قوميّاً يتجاوز أي جهد فردي أو فئوي خاص، وأنه في مناهجه ومقرراته وتوجيهاته يمثّل عامل التوحيد الأهمّ لعقل الأمّة وضميرها منذ مراحل التعليم الإلزاميّة الأولي، إذ لا يُسمح فيه بتعدديّة المناهج والفلسفات التربويّة.

ـ لم تأخذ اليابان بالنزعات اللبراليّة والسايكلوجيّة الغربيّة بل ظلت متمسِّكة بقيم الانضباط الموحد في الفكر والسلوك رغم الضغط المعاكس من الاحتلال الأمريكي ورغم النقد الغربي لها.

ـ نقطة القوة الأساسية في النظام التربوي الياباني ليست جامعاته، إنّما معاهده التقنية المتوسطة التي تمثّل عموده الفقري، والممارسة العمليّة التدريبيّة هي أهمّ واجبات الياباني منذ طفولته عندما يقوم

---

[55] متفق عليه، رواه البخارى فى صحيحه (48) ومسلم (116) مكتبة الإيمان – القاهرة

[56] راجع د. حسن الباتع عبد العاطي، التعليم من حولنا ـ التجربة اليابانية ـ نموذج الترقي بعد التردي، بحث منشور مجلة المعرفة التي تصدر عن وزارة التربية والتعليم بالمملكة العربية السعودية، العدد: 173- 1430/8/3هـ الموقع الالكتروني: almarefh.net

بتنظيم صفه ومدرسته إلى ما بعد تخرجه، عندما يبدأ من جديد التدريب الوظيفي في برامج إجباريّة قبل أي منصب ثابت، أما الفتاة اليابانية فإن أهمّ وظيفة لها هي نجاحها في أسرتها فيقدم لها برامج تربوية عمليّة ضِمن النِظام التربوي الرسمي تعلّمها كيف تصبح زوجة ناجحة.

ـ استطاعت اليابان أن تجمع شعبية التعليم وارستقراطيته العلميّة، بمعنى أن التعليم أتيح للجميع في قاعدة الهرم التربوي لتزويد الأمّة بالأيدي العاملة المتعلِّمة، لكنّه اقتصر في مستوى القمة على القلة الممتازة عقليّاً، والمتفوقة في مواهبها لتخريج النخبة القياديّة والقادرة على مواجهة التحديات.

ـ لم تأخذ اليابان ولم تنبهر باللغات الأجنبية المتقدمة، وحسمت معركة اللغة تعليميّاً وحياتيّاً منذ البداية، فمن المعروف أنه لا يمكن لأمّة أن تبدع علميّاً إلا بلغتها الأم.

ـ تُعدُّ مهنة التدريس من المهن المربحة اقتصاديّاً، فمن بين خمسة يابانيين يتقدمون لمهنة التدريس يفوز واحد منهم فقط بشرف المهنة وامتيازاتها المعيشيّة، وقد أدى ذلك إلى الحفاظ على مستوى نوعي متفوق للتعليم الياباني أدى بدوره إلى تنمية نوعية العمليّة التربويّة بأسرها.

ـ لم تنسق اليابان وراء نزعة تحويل الثقافة العامّة للأمّة إلى منشط من مناشط الإعلام كما حدث في كثير من بلدان العالم الثالث؛ بل بقيت مهمّة دعم الثقافة العامّة في اليابان من مسئوليات وزارة التربية والعلوم والثقافة[57].

هذا المنهج الياباني القائم على الاعتزاز بالذات الحضاريّة، والمستمد من ثقافة الأمّة والمُعلي لقيمة التعليم والمعلِّم هو الذي حقّق النهضة اليابانيّة المعاصِرة، وأمّتنا تملك مقومات النهضة، عليها أن تسعى لامتلاك الإرادة التي تمكِّنها من تحقيق النهضة المعاصِرة لتستعيد دورها في الشهود الحضاري.

التوصيات:

أولاً: تكوين لجنة من ذوي الاختصاص في المجالات المختلفة، تستعرض الموقف في الدول الإسلامية كافة لتشخص حالة كل دولة، وتحدد نقاط الضعف والقوة فيها وتقدِّم تصوراً عامّاً للنهضة العلميّة والتربويّة من واقع التشخيص الدقيق لحالة الأمّة.

ثانياً: تكوين لجنة من المتخصصين في وضع المناهج لتبلور منهجاً عامّاً يخاطب قضايا الأمّة المتشابهة ومناهج خاصّة بكل دولة حسب ظروفها وأوضاعها ومقومات النهضة فيها على أن يكون هنالك رابط كُلي يوحِّد بين المناهج ليحقق الوحدة الإسلاميّة على مستوى التعليم.

ثالثاً: استصحاب الدعائم السبعة اللازمة لاستنهاض الأمّة وهي:

الروح المشبعة بالأمل ـ الاعتزاز بالذات والتراث المجيد ـ العِلْم الغزير(علم الدنيا والدين) ـ القوة والاستعداد ـ منظومة قيمية صالحة وفاضلة ـ المال والاقتصاد ـ أسس النظم[58].

هذا وبالله التوفيق ،،،،،،

---

[57] د. حسن الباتع عبد العاطي، مرجع سابق بتصرف

[58] د. جاسم سلطان، القواعد الإستراتيجية في الصراع والتدافع الحضاري، قوانين النهضة, ص (181) الطبعة الخامسة 2013م، تمكين للأبحاث والنشر ـ لبنان

نبذة عن الكاتب

عبد المحمود أبّو إبراهيم عبد المحمود
هيئة شؤون الأنصار للدعوة والإرشاد ـ السودان (أم درمان)
للتواصل: العنوان الالكتروني: (abduabbo001@yahoo.com) تلفون: (٠٠٢٤٩٩١٢٣٢٢٢٢٦) ـ (٠٠٢٤٩٩١٢٣٩٨٦٢٨)

المؤهل العلمي:

ــ ماجستير فى الفقه المقارن ـ إدارة التنوع 2013م
ــ دبلوم عالي [شريعة وقانون] المعهد العالي للدراسات الإسلامية 2006م
ــ بكالوريوس [شريعة وقانون] جامعة أم درمان الإسلامية 1993م
ــ الشهادة الأهلية [قراءات] معهد شروني للقرآن الكريم وعلومه ــ الخرطوم 1989م
ــ الشهادة الأهلية معهد أم درمان العلمي 1988م
ــ يحفظ القرآن الكريم كاملاً

الأنشطة الدعوية:

ــ خطيب يؤم الناس لصلاة الجمعة لمدة (31) سنة من عام 1983م وحتى الآن 2014م
ــ أمين الدعوة والإرشاد: 1993 ــ 1995م
ــ الأمين العام لهيئة شئون الأنصار: 1995 ــ 2002م ـ أعيد انتخابه أميناً عاماً لهيئة شئون الأنصار: 2002 ــ وحتى الآن
ــ قدم عدة محاضرات في الجامعات والمعاهد والمساجد والأندية والساحات العامة

المشاركات الخارجية:

ــ عضو المؤتمر القومي الإسلامي ــ بيروت ــ وشارك في (3) دورات
ــ عضو المنتدى العالمي للوسطية ــ الأردن
ــ شارك في ثلاثة مؤتمرات أقامها المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ــ القاهرة ــ وقدم بحثاً تحت عنون [الإسلام والتقدم العلمي والتكنولوجي] نشر ضمن بحوث المؤتمر
ــ شارك في مؤتمرات دولية في المملكة العربية السعودية وقطر والبحرين وتركيا والجزائر والأردن ولبنان

أنشطة أخرى:

ــ عضو المكتب التنفيذي لمجلس التعايش الديني بالسودان
ــ عضو مراقب بمجلس أمناء منظمة الدعوة الإسلامية
ــ عضو مجلس أمناء ديوان الأوقاف
ــ عضو مجلس أمناء هيئة إحياء النشاط الإسلامي
ــ عضو مجلس جامعة أم درمان الإسلامية

الإنتاج العلمي:

ــ أكثر من (300) من خطب الجمعة والأعياد ومناسبات مختلفة في عدة مواضيع منها:
(الإسلام والآخر الديني ـ الإسلام والغرب ـ الإسلام والعلمانية ـ حقوق الإنسان في الإسلام ـ الإسلام والحريات ـ الدولة في الإسلام ـ الدولة الدينية والدولة المدنية ـ وسائل الدعوة ـ التطرف الديني وأسبابه وطرق علاجه ...الخ)
ــ كتيب تحت عنوان: يسألونك عن الأنصارية
ــ كتيب تحت عنوان: الإسلام والعلمانية
ــ كتاب تحت عنوان: الحوار في الإسلام حقائق ونتائج